بلاد شنقيط و دورها في نشر الاسلام و الثقافة العربية الاسلامية في غرب افريقيا من ما قبل القرن 5هـ-11م إلى مطلع القرن 14هـ-20م

Bilad Chinqit and its role in the spread of Islam and arabic culture and islamic in west Africa from before the eleventh century AD to the turn of the twentieth century

سارة عزيزي
جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة- الجزائر
azisarah@yahoo.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021/10/26	2021/11/10	2021/../..

الملخص:

هذه الدراسة جاءت بعنوان : "بلاد شنقيط و دورها في نشر الاسلام و الثقافة العربية الاسلامية في غرب افريقيا" ؛ و هي تهدف للتعريف برقعة جغرافية من منطقة الصحراء الكبرى الافريقية "بلاد شنقيط" و التي يجهلها الكثيرون و يجهلون التسمية نفسها ، خاصة مع نكبة الاحتلال الفرنسي لها مع مطلع القرن العشرين ؛ الذي عمل على طمس مقوماتها الثقافية بالمنطقة، و ما كانت تقوم به من ادوار ، و لم تسلم من ذلك حتى تسميتها التي حولها من بلاد شنقيط الى موريتانيا .

كما تهدف الدراسة الى ابراز الدور الكبير الذي كانت تؤديه في سبيل نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية في غرب افريقيا بعدما عملت على نشرها في الصحراء الكبرى ، و ذلك منذ عهود الاسلام الاولى بها ، بداية بجهود ملوك صنهاجة من حين لآخر ، ثم في شكل فتح منظم مع المرابطين، لتتواصل فيما بعد مع شيوخ المحاضر الصحراوية و الطرق الصوفية حتى تغلغل الاسلام بها وتعمق بشكل أكبر .

الكلمات المفتاحية:بلاد شنقيط؛ شنقيط؛ موريتانيا؛ الشناقطة.

Abstract:

This study aims to introduce a geographical region of the big Sahara ; BiladChinqit , that many people ignors it even its naming , especially with the advent of the French occupation , which worked to oblirate its cultural components in the region , and the roles which had played even its naming didn't spare ; it changed it from "Chinqit" to "Mauritania" , also it aims to highlight the role that did in order to spread Islam and Arabic culture and Islamic in West Africa after spreading it in the big Sahara , since the first Islamic periods there , starting with the efforts of Sanhaja from time to time , then in the form of an orderly invasion by Almoravid , and it continued later with the sheikhs of desert schools and Sufi orders until Islam penetrated it more .

Key words: BiladChinqit; Chinqit; achanaqita; Mauritania.

مقدمة:

لقد كان لظهور المراكز الثقافية ببلاد المغرب عقب الفتح الإسلامي له كالقيروان والزيتونة وفاس و تلمسان وغيرها ، أن أصبحت تمثل مصدر إشعاع ثقافي وحضاري بكامل المنطقة ومنهل الكثيرين ، و أخذت هذه الثقافة تتسرب إلى المناطق المجاورة فبلغت الصحراء الكبرى أين لعب تجار القوافل القادمين إليها من تلك البلاد الدور الكبير في ذلك ، فكانوا يحملون إلى جانب بضائعهم رسالة الإسلام و الثقافة العربية . و لعل أهم جزء من تلك الصحراء الكبرى و الذي حظي بنصيب أوفر من المؤثرات العربية الإسلامية كان جانبها الغربي أو منطقة غرب الصحراء ، و التي عرفت عبر تاريخها بعدة تسميات من أشهرها "بلاد شنقيط " ، هذه التسمية التي ارتبط ذكرها بكل ما هو ثقافي، إذ بعدما نهلت هذه الأخيرة من معين الثقافة العربية الإسلامية ، أصبحت هي الحاملة لهذه الثقافة في فترة من فتراتها ، و الناقلة لها إلى مختلف مناطق الصحراء الكبرى وفي منطقة غرب إفريقيا و ذلك على مر القرون ، و سيصبح صيتها ذائعا في جميع بلاد المغرب والمشرق ، و خاصة ما بين القرنين الحادي عشر و الثالث عشر الهجريين (17 و 19 م) و هي الفترة التي عرفت فيها بلاد شنقيط ازدهارها الثقافي.

1-التعريف ببلاد شنقيط:

شنقيط هي مدينة من مدن آدرار(1)، واقعة على جبل في جهة غرب الصحراء الكبرى(2)، وقد اختلف في تحديد تاريخ تأسيسها ، إلا أن جل الباحثين يرجع تأسيسها إلى سنة 660 هـ / 61-1262 م ، مع اعتماد البعض منهم لتواريخ أخرى مثل 620 هـ / 1224م ، أو في القرن 9 هـ / 15 م (3) ، وتعد هذه المدينة امتدادا حضاريا وبشريا لمدينة قديمة هي "آبير" ، والتي يرجع تأسيسها إلى سنة 160 هـ / 777 م ، إذ أن المجموعة السكانية التي كانت تعمر هذه الأخيرة هي نفسها ال تي أسست المدينة الجديدة (شنقيط) (4).

و قد ورد أول ذكر لشنقيط في مطلع القرن العاشر الهجري / 16 م ضمن حوليات البرتغاليين التي وصفتها بأنها قرية صغيرة(5). ويعد عبد الرحمن السعدي أول المصادر المكتوبة باللغة العربية التي ذكرت اسم شنقيط (6) ، حين قال: "...**أما اكل سلطان توارق فقد بقي في أيام سلطنته على حالهم القديمة...وفوض أمر البلد على تنبكت كي محمد نض وهو صنهاجي من قبيلة اجر أصله شنجيط (7)وهو أصل جميع هذه القبيلة...**"(8).

و أما بلاد شنقيط ، فهي التسمية التي أطلقها أهل المشرق على الجزء الغربي من الصحراء الكبرى(9) ، لما اشتهرت به مدينة شنقيط من مكانة هامة في النشاط الديني و الثقافي ، و قد أخذت شنقيط في الإزدهار بداية من القرن 11 هـ /17 م ، وبلغت أوجه خلال القرنين 12 و13 الهجريين/ 18 و 19 م ، و هي الفترة التي منحت فيها شنقيط اسمها للبلد كله (10) ، وبدأ هذا الإسم يتجسد أكثر عندما أصبحت قوافل الحجيج المنطلقة منها كل سنة تعرف بركب بلاد شنقيط ، كما برز عدد من فقهائها ببلاد المشرق والمغرب الإسلاميين ، حيث كانوا يدرّسون بمراكز الثقافة العربية الإسلامية المشهورة آنذاك كالزيتونة والأزهر خلال القرنين 12 و13 الهجريين، و هو ما أسهم في منحها هذه الشهرة بحكم أن

هؤلاء الفقهاء عرفوا في تلك الجامعات بالشناقطة (11)، و هو ما دعا جميع المهاجرين من أهل هذه البلاد أيا كانت مواطن قبائلهم ومساقط رؤوسهم إلى الإنتساب إلى بلاد شنقيط (12) . ونتيجة لذلك احتلت شنقيط في ذاكرة الشعوب الإسلامية مكانة مبالغا فيها، مقارنة بمدن بلاد الصحراء الأخرى، حتى اعتبرها البعض سابع مدينة في الإسلام (13).

و قد اختلفت المصادر في وضع حدود ثابتة لبلاد شنقيط، إذ أننا نجد تباينا بخصوص هذا الموضوع من مصدر لآخر، وحسب المختار ولد حامد، فإن حدود البلاد هي أوسع من بحدود جمهورية موريتانيا الحالية، إذ تشمل بالإضافة إلى موريتانيا مناطق أخرى مجاورة تربطها بها وحدة اللغة والعادات والتقاليد والنسب والتاريخ ، وهذه المناطق هي :

- منطقة الصحرء الغربية.
- المنطقة الواقعة في جنوب غربي الجزائر .
- منطقة في غرب و شمال جمهورية مالي (14) .

وعلى العموم ، فإن بلاد شنقيط هي ذلك الجزء الغربي من الصحراء الكبرى ، الذي يفصل إفريقيا الشمالية عن غرب إفريقيا(15).

و قد عُرفت بلاد شنقيط بعدة أسماء نذكر منها : صحراء الملثمين ، بلاد التكرور ، بلاد المغافرة ، تراب البيضان ، و موريتانيا.

2-وصول الاسلام إلى بلاد شنقيط:

لقد واكب دخول الإسلام إلى بلاد شنقيط الحملات الجهادية التي اكتسحت الشمال الإفريقي وذلك في القرن الأول الهجري ، وبلغت أصداؤها الصحراء الكبرى وشمال السودان(16)، فاعتبارا من سنة 62 هـ (682 م) حدث أول اتصال بين جيوش الفتح

الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع الفهري ، والقبائل الصنهاجية ، وذلك خلال حملة عقبة الثانية على المغرب أين بلغ المغرب الأقصى ، و كان أول ما فتح منه طنجة ثم وليلى ، ثم توالت الفتوح في أنحاء البلاد ، فتقدم إلى السوس وفتح عاصمته تارودانت (17) ، وقاتل قبائل مسوفة من أهل اللثام وراء السوس(18)، ثم توجه الى الساحل الأطلسي و رفع يديه الى السماء و قال : "اللهم اشهد أني بلغت المجهود ، و لولا هذا البخر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك (19) .

بالاضافة الى مسوفة ، تذكر المصادر العربية الوسيطية قبيلة اخرى من قبائل صنهاجة اللثام أسلمت على يد عقبة بن نافع الفهري ، و كانت تقطن المنطقة الوسطى من صحراء الملثمين ، و في هذا يقول ابن أبي زرع : "...**و مدينة تاتكلاسين يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون ببني وارث ، و هم قوم صالحون على السنة و الجماعة أسلموا على يد عقبة بن نافع الفهري أيام فتح المغرب** ..." (20) . و يعتقد بعض الباحثين أن اتصال الفاتحين العرب بقبائل الملثمين أثناء فتوحات عقبة لم يقتصر على بني وارث و مسوفة، و إنما شمل كل قبائل الصحراء ، خاصة لمتونة، إذ لا شك أن _حسب ذلك الرأي_ أنها لم تذعن لعقبة من أول جولة ، بل قاومته ، و اشتركت فيما بينها في هذا القتال دفاعا عن كيانها (21) .

و استؤنفت عملية الفتح في إفريقية في عهد موسى بن نصير ، فسير هذا الأخير حملة من إفريقية الى طنجة حتى بلغ السوس الأدنى و هو بلاد درعة ، فخضعت له المنطقة ، و جعل لأهلها من يفقههم في أمور الدين ، و قام بإنشاء المساجد في البلاد التي افتتحها كمسجد أغمات هيلانة (22) . و كانت سياسة موسى بن نصير متممة للسياسة التي انتهجها أبو المهاجر وحسان بن النعمان، اللذين عملا قبله على محاولة استمالة قبائل البربر للإسلام ؛ إذ أخذ موسى يعمل على إشراك البربر في جيوشه ، و تكليف الفقهاء بتعليمهم قواعد الإسلام ؛ فنتج عن تلك السياسة اندماج المغرب في جسم الدولة ، إذ يدين بدينها ، و يتكلم لغتها (23) . وهكذا امتد النفوذ العربي الإسلامي أثناء ولاية موسى بن نصير إلى غاية

المناطق الصحراوية بعد أن تمكن هذا الأخير من فتح كافة أرجاء المغرب الأقصى خلال الفترة مابين 705 و 709 م ، و ولى ابنه مروان بن موسى على منطقة السوس الأقصى المجاورة لصحراء الملثمين ؛ و يعتقد أن مروان اتصل بهؤلاء ، و أنهم جددوا اعتناق الإسلام على يده او على يد موفدين من طرفه دعاة أو قادة حملات عسكرية (24) .

و استمرت جهود الفاتحين في نشر الإسلام ؛ ففي سنة 116 هـ 734 م ، قاد حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع والي هشام بن عبد الملك على المغرب ، بنفسه حملة الى المغرب الأقصى فبلغ السوس الاقصى و أرض السودان و غنم مغانم كثيرة (25) . و بصفة عامة ، فإن مرحلة الحملات العسكرية على الصحراء ، و التي امتدت بين سنتي 682 و 745 م ، و إن لم تفض إلى دخول جميع تلك المنطقة في الإسلام ، و تطبيقه لتعاليمهم بشكل مباشر ، إلا أنها جعلتهم على علم به ، و ربطتهم بمراكز إشعاعه في الشمال ، و أصبح الدور بعد ذلك على التجار و الدعاة المسلمين في سبيل نشر هذا الدين و بطريقة سلمية هادئة (26) .

3-دور بلاد شنقيط في نشر الإسلام والثقافة العربية الاسلامية في غرب إفريقيا:

لقد مهدت حملات الفتح العسكرية لدخول الإسلام لبلاد شنقيط عن طريق إشعار السكان بالدين الجديد، بل وأدت إلى اعتناق الملثمين له ولو بصورة شكلية؛ كما كان لقادة تلك الحملات وكذلك الولاة والحكام العرب المسلمين في شمال افريقيا دور في تذليل العقبات أمام عابري الصحراء، وذلك عن طريق حفر الآبار على طول الطرق التي تربطها بالمغرب، خاصة في المناطق الوعرة و الرملية، مما ساعد على تدفق التجار العرب والبربر المسلمين إلى الصحراء ، والذين أثروا بشكل مباشر في ثقافة سكانها ، خاصة باستقرار بعضهم بها (27).

و على الرغم من أن إسلام الملثمين في الصحراء ظل سطحيا حتى منتصف القرن 5 هـ/ 11م تاريخ ظهور حركة المرابطين، إلا أن المصادر تشير إلى أن هنالك جهودا قد بُذلت في سبيل نشر الإسلام في بلاد السودان من طرف ملوك صنهاجة ، و ذلك منذ القرن 3 هـ / 9م

. ومن هذه المصادر على سبيل المثال ابن الخطيب أثناء حديثه عن قبائل صنهاجة ، إذ يقول :" ... **وكانوا على السنة و الجماعة يجاهدون السودان ، و كان أول ملوكهم يرلونان(28) اللمتوني، وهو ملك عظيم دان له من ملوك السودان واتقوه بأداء الجزية أزيد من عشرين ملكا ... إلى أن توفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين** ... "(**29**).و بالتالي فقدكانت هناك جهود لبلاد شنقيط في سبيل نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، و مع ذلك لا يمكن الحديث عن جهاد مستمر يستهدف نشر الإسلام بالمنطقة إلا ابتداء من قيام حركة المرابطين .

و عن قيام حركة المرابطين فقصتها معروفة و قد تداولتها عديد المصادر و سوف لن نتطرق إليها و لا إلى جهود المرابطين في الشمال لأنه ليس موضوعنا، بل سنكتفي بالحديث عن دور المرابطين – و بالتالي بلاد شنقيط – في نشر الإسلام في غرب إفريقيا.

فبعدما استولى عبد الله بن ياسين (زعيم حركة المرابطين) على الصحراء و إخضاعه لعديد من القبائل الصحراوية بداية من جدالة فلمتونة ثم مسوفة حتى أجابته جميع القبائل الصحراوية ودخلت في دعوته ، توفي و خلفه من بعده من أتباعه المخلصين يحي بن عمر وأخوه أبو بكر بن عمر الذي جاء بعده ، فواصل الأخوان عملية الفتح في بلاد السودان . (30)

و لما تمكن الأمير أبو بكر بن عمر من استئصال شوكة برغواطة في الشمال وإخضاعها لسلطانه ، عاد إلى الصحراء لإصلاح أحوال القبائل المتصارعة هناك ، مفوضا أمر المغرب إلى يوسف بن تاشفين وذلك في سنة 453 هـ ، وفي هذا يقول ابن خلدون : "... **وبلغه وهو لم يستتم فتح المغرب بعد ، ما وقع من الخلاف بين لمتونة ومسوفة ببلاد الصحراء ، حيث أصل أعياصهم ووشائج أعراقهم ومنبع عددهم ، فخشي افتراق الكلمة وانقطاع الوصلة ، وتلافى أمره بالرحلة** ... "(**31**). و بعدما تمكن أبو بكر من إخماد الفتنة بين القبائل المتصارعة، فتح بابا من جهاد السودان فاستولى على نحو مسيرة ثلاثة أشهر من بلادهم(32).

3. 1. دور المرابطين في تصحيح الدين الاسلامي في غرب افريقيا :

لم تكن العلاقة طيبة بين مملكة غانة و جيرانها الملثمين ، إذ كانت المنازعات تطبع ذلك بينهما ، وكثيرا ما كان يعتدي كل طرف على أراضي الطرف الآخر . فكان هدف أبي بكر الرئيسي هو تكريس جهوده للإستيلاء على غانة ، و إخضاعها لسلطة المرابطين (33).

لقد كانت الظروف مناسبة له لإعلان الجهاد ضد امبراطورية غانة ، إذ كانت هذه الأخيرة في بداية تفكك سياسي أثناء تلك الفترة ، تمثل في محاولة بعض الأقاليم والممالك التي كانت تابعة لها الإنفصال و الثورة ضد الحكم الإمبراطوري ، ومع ذلك فقد تمكنت من الصمود أمام محاولات المرابطين لفترة طويلة ، إذ لم يتم لهم هزيمتها ودخول عاصمتها كونبي إلا بعد 14 سنة من الحروب (34)، و ذلك بعدما تم الإستيلاء على مدنها الواحدة تلو الأخرى من طرف المرابطين ، وكان سقوط العاصمة في أيديهم سنة 469 هـ /1076م(35).

و قام الأمير أبو بكر ببناء الرباطات والمساجد ، فكثر عدد الداخلين في الإسلام ، وترك أمر امبراطورية غانة لابنه أبي يحي كي يتابع نشر الإسلام بها ، بينما واصل هو فتح بلاد السودان حتى وصل بلاد وانقارة(36) حيث مناجم الذهب(37)؛ ويذكر ابن أبي زرع ما وصل إليه الأمير أبو بكر بقوله : " ... **استقام له أمر الصحراء إلى جبل الذهب من بلاد السودان** ..."(**38**).

و كان لنجاح أبي بكر هذا من الأثر، أن تمكن من السيطرة على حقول الذهب الغنية، والتي تعتبر أهم مصادر الثروة في السودان في تلك الفترة ، كما ازدادت هجرات قبائل المرابطين إلى تلك الأنحاء ، مما أدى إلى اختلاطها بسكان المنطقة ، وبالتالي ازداد عدد الداخلين في الإسلام (39) .

ثم سلم المرابطون المشعل إلى المسلمين السودانيين ، وبقوا بجانبهم يساعدونهم ويحثونهم على جهاد الوثنيين ، وأصبح ملوك السودان بدورهم يعملون على نشر الإسلام بالمناطق التي يضمونها إليهم (40) .

و رغم هذا كله ، فإن هناك شعوبا سودانية ظلت متمسكة بوثنيتها مثل شعب الموسي الذي بقيت مملكته صامدة في وجه المرابطين ، ولم يخترقها الإسلام إلا خلال فترات متأخرة(41)؛ بل إن بعض الجماعات السودانية التي دخلت في الإسلام بقيت تحافظ على بعض العادات الوثنية ؛ واستمرت تلك المظاهر تميز الإسلام السوداني إلى وقت قريب ، ولم تأخذ في الزوال تدريجيا إلا بمواصلة هؤلاء السودانيين تعلم العلوم الشرعية عن طريق جهود الفقهاء الصحراويين ، الذين كانوا يقيمون في المدن والقرى السودانية لتحقيق ذلك الغرض ، فضلا عن الدور الذي كانت تقوم به مراكز الإشعاع الثقافي الصحراوية في آزوكي ، و تينيكي ، و ولاتة ، وتيشيت وغيرها ، في نشر المعارف الإسلامية بين السودانيين ، الذين كانوا يفدون إليها للتعلم والعودة إلى بلدانهم بعد تخرجهم على أيدي الفقهاء بتلك المراكز ، ليتحولوا بدورهم إلى معلمين في أوطانهم ؛ و قد اتخذت العديد من الجماعات السودانية اللغة العربية لغة للتواصل و التفاهم بين المجموعات الإثنية التي لكل منها لغتها الخاصة في غرب إفريقيا(42).

3. 2. دور شيوخ المحاضر و الطرق الصوفية في نشر التعليم العربي الاسلامي والتصوف في غرب افريقيا :

و استمر دور بلاد شنقيط في نشر الإسلام في منطقة غرب إفريقيا إلى مابعد مرحلة المرابطين ، وظل حضور الشناقطة وتأثيرهم يتنامى في المناطق الإفريقية على مر القرون.

و كان للمحاضر الصحراوية (43) الدور الكبير في نشر الإسلام و العلم في تلك المناطق من إفريقيا ؛ وقد تربى الكثير من العلماء و المجاهدين و من أعيان الأفارقة في تلك

المدارس ، فكان منهم من قدم البلاد و تعلم على أيدي علمائها ، أو عن طريق علماء شناقطة جالوا بأنفسهم في أقطار الأفارقة أو انتدبوا من ينوبهم للدعوة للإسلام و نشر العلم بها (44) .

و قد تلقى زعيم دولة الأئمة في فوتا ، الإمام عبد القادر، العلم عن مرابطة شنقيطية هي الشيخة خديجة بنت العاقل ؛ و كان للحارث بن محنض الشقروي ، الفضل في نشر العلم في منطقة فوتا جالون ، فأخذ عنه عدد من علماء تلك المنطقة مثل الحاج أحمد مختار ساخو ، وأحمد مختار آن تتلمذ عليه الحاج مالك سي و تيرنو مودي بوبكر و الشيخ بابا بن الصديق له(45).

و كان لأحمد بن أمين بن الفراء التندغي (46) منزلة عظيمة عند رؤساء السودان ، و قد تولى القضاء لتين رئيس بول(47).

كما كان للطرق الصوفية دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا الغربية وتدعيمه بها ، فقد أدخل سيدي مولود فال الشنقيطي التيجانية إلى السينغال و لقن وردها للحاج عمر تال زعيم دولة فوتا ، الذي قام بدوره ، ببث تعاليم الطريقة وإذاعتها ، فانتشرت في غرب إفريقيا (48)؛ كما انتشرت التيجانية في السينغال أيضا على يد الحاج مالك السينغالي (ت: 1340) ، وعلى يد الشيخ الحاج عبد الله نياس (ت:1340) ، و ابنه الشيخ إبراهيم الكولخي(49) ، الذي بلغت هذه الطريقة أوج انتشارها على يده و أيدي مريديه من الشناقطة ، خصوصا مع الشيخ الهادي بن سيدي مولود فال ، الذي نشرها و معارفها في نيجيريا ، كما امتد نفوذ الشيخ حماه الله إلى مالي و ساحل العاج وغينيا وغيرها(50) ، و كان الحاج مالك سي قد أخذ عن محمد عالي بن محنض و درس في محاضر العلويين ، و هو باني ضريح سيدي مولود فال . كما كان للشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس الكولخي إجازات تلقاها من علماء شناقطة ، كمحمد محمود بن محمد الصغير بن أحمد الصغير التيشيتي ، والحاج عبد الله

بن الحاج العلوي و الشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد الشيخ محمد الحافظ(51)، كما امتد نفوذ الشيخ حماه الله إلى مالي وساحل العاج وغينيا وغيرها(52).

كما ظهر في السينغال أيضا الشيخ أبو محمد بن بونعامة الملقب ب "الشيخ بوكنتة" فكان له أتباع بلغ عددهم أوائل القرن العشرين نحو 50.000 نسمة ينتشرون في أرجاء السينغال و غامبيا . وقد أسس الشيخ بوكنتة في السينغال قرية حملت إسمه (كربو كنتة – دار بوكنتة) قرب مدينة تيووان وأقام هناك إلى أن توفي سنة 1914(53).

"و يذكرأن الشيخ سيدي المختار الكنتي و ابنه الشيخ سيدي محمد ، كانا يتبادلان المراسلات مع المجاهد عثمان دان فوديو مؤسس دولة سوكوتو و أبنائه بنيجيريا ، و يبديان لهما الرأي فيما يعرض من شؤون الإسلام و المسلمين.

كذلك كان الشيخ سيدي المختار على صلة طيبة بأحمد لبو مؤسس دولة ماسنا بمدينة "حمد الله" (في مالي) (54).

و إلى جانب ذلك ، فقد أخذ أحمد بمبا القادرية عن الشيخ سيديا في تندوجة ، و تلقى منه العلم هناك (55) ؛ و امتد نفوذ الشيخ سيديا إلى غاية السينغال وغينيا(56) ، و كان مندوبوه ينشطون بأماكن عديدة من غرب القارة في سان لويس ، و ديمار، و بودور، و فوتا و غيرها (57) ؛ و قد اخذ عن الشيخ سيديا عدد من أئمة (أمراء) دولة فوتا الإسلامية و خصوصا الإمام بيرام (إبراهيم) و إبنه الإمام محمد (ت1866) و إبنه ابر الماني (إبراهيم الإمام)، و اتسع نفوذ الشيخ ليشمل جميع أنحاء السينغال و غامبيا و غينيا بيساو و غينيا كوناكري (58)، كما كان نفوذ الشيخ سعدبوه يتركز أكثر في المناطق الإفريقية في السينغال و غينيا (59)، و كان له الآلاف من التلاميذ في كل من مقاطعات فوتا و الجولوف و الكايور و غامبيا والكازامانس (60).

و اتسع نفوذ الشيخ التراد بن العباس ليصل إلى مالي وكازامانس وغينيا و سيراليون ، وكان يتلقى مراسلات و مندوبين من طرف زعماء تلك المناطق ، فيتعرضون للتفتيش من قبل السلطات الإستعمارية ، و قراءة البريد الذي يحملونه(61).

وقد قام بالدور الكبير في نشر الإسلام والتعليم رجال من الأسر الكنتية والفاضلية ومن العلويين و آل الشيخ سيديا ، فضلا عن الشيخ أحمد حماه الله الذي تصدى للإستعمار ، فالتف حوله الآلاف من الأفارقة من شتى الأقطار(62) .

و قد كان لمشايخ العلويين دور في خدمة الإسلام بغرب إفريقيا مثل الشيخ محمد الحافظ ومحمدي بن سيدينا الملقب بذي ، و سيدي مولود فال و محمد المختار بن أحمد فال وأحفادهم، إذ أن أكبر الطوائف التيجانية في مطلع القرن العشرين ، أتباع الشيخ عمر الفوتي، و أتباع الحاج مالك سي، يدينون بالتلمذة لهؤلاء المشايخ ، و ذلك لأخذهم عنهم مباشرة أو عن طريق مشايخهم و آبائهم الذين تتلمذوا عندهم ؛ و هاتان الطائفتان تنتشران في السينغال و مالي و غرب إفريقيا عامة ، و كان لجدود بن محمد الكبير و محمد بن المختار ، دور هام في نشر التيجانية في إفريقيا ، خاصة السودان ونيجيريا (63).

خاتمة:

مما سبق يتضح الدور الهام الذي أدته هذه الرقعة الجغرافية من الصحراء الكبرى في سبيل نشر الإسلام و الثقافة العربية الإسلامية ككل في منطقة غرب إفريقيا و ذلك على مر القرون ، فكانت هذه البلاد تمثل الممر الرئيسي للتجار و الدعاة القادمين من الشمال باتجاه بلاد السودان كما هو معروف ، و قد أشارت المصادر العربية كما سبق و ذكرنا إلى أنه كانت هناك جهود لملوك سودانيين من أجل نشر الإسلام ببلاد السودان ، و لكن دور بلاد شنقيط بدأ يظهر جليا منذ منتصف القرن الخامس الهجري (11م) ، و ذلك من خلال جهود المرابطين الذين عملوا على تصحيح العقيدة الإسلامية لدى الشعوب السودانية ، و نشره على نطاق واسع في غرب إفريقيا استكمالا للعمل الذي بدأه التجار و الدعاة من قبلهم في إشعار

السكان بهذا الدين الجديد ، وكان لحركة المرابطين و قيام دولتهم من بعد أثر كبير في مصير الإسلام بغرب إفريقيا إذ عملت على تصحيح العقيدة الإسلامية بالمنطقة و ترسيخ الإسلام السني الصحيح و إدخال المذهب المالكي إليها الذي هو مذهب المرابطين، و لم تتوقف جهود البلاد في خدمة الإسلام بالمنطقة مع عهد المرابطين و حسب ، بل استمرت بعدها بقرون متمثلة في جهود شيوخ المحاضر الصحراوية و الطرق الصوفية الذين جالوا بأنفسهم في أدغال إفريقيا أو عن طريق مندوبيهم أو عن طريق قدوم السودانيين إلى البلاد و تلقيهم العلم بها ، فكان أن اتسعت دائرة انتشار الإسلام بغرب إفريقيا أكثر و أكثر حتى أصبح الإسلام الطرقي يطبع الإسلام الإفريقي .

الهوامش:

(1) آدرار كلمة بربرية وتعني الجبل ، البكري : **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** . مكتبة المثنى ببغداد ، د.ت ، د.ط ، ص ص 163 ،164 ، وتطلق على مجموعة من المناطق الجبلية في الصحراء منها : آدرار عاصمة توات على بعد 650 كم جنوب شرق بشار . وكذلك آدرار ايفوغاس ، وهو كتلة جبلية تقع بالصحراء الجنوبية (السودان الغربي) وتعد امتدادا لإقليم الهكار ، كما تطلق على آدرار موريتانيا الحالية ويسمى "آدرار التمر" ، أحمد مولود ولد أيده : **الصحراء الكبرى مدن وقصور** . دار المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ج1 ، ص109 .

(2) أحمد بن الأمين الشنقيطي : **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط** . المطبعة الجمالية بمصر، ط1 ، 1329 ، ص410 .

(3)أحمد مولود ولد أيده : المرجع السابق ، ص138 .

(4) عبد الودود ولد عبد الله(ددو) : **الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر(18م)** دار أبي رقراق ، الرباط ، 2015 ، ص32 .

(5) أحمد مولود ولد أيده : المرجع السابق ، ص138 .

(6) المرجع نفسه ، ص139 .

(7) شنجيط : وهو الإسم الأصلي قبل أن يتحول نطق الجيم إلى قاف لتصبح شنقيط . أحمد بن الأمين الشنقيطي : المصدر السابق ، ص 422 .

(8) عبد الرحمن السعدي : **تاريخ السودان**. طبعه السيد هوداس ، باريس ، 1981 ، ص22 .

(9) المختار ولد حامد : **حياة موريتانيا "الجغرافيا"** . دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1414 هـ/ 1914 م ، ص9.

(10) أحمد مولود ولد أيده : المرجع السابق ، ص139.

(11) المرجع نفسه ، ص230 .

(12) المختار ولد حامد : " **الجغرافيا** ": المرجع السابق ، ص9 .

(13) أحمد مولود ولد أيده : المرجع السابق ، ص ص 230 ، 231 .

(14) المختار ولد حامد : " **الجغرافيا** " المرجع السابق ، ص8 .

(15) المرجع نفسه ، ص8 .

(16) محمد المختار ولد أباه : **الشعر و الشعراء بموريتانيا** . دار الأمان ، الرباط ، 1424هـ/2003م ، ط ، ص12.

(17) ابن عبد الحكم : **فتوح إفريقيا والأندلس** . تحقيق وتقديم : عبد الله أنيس الطباع ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1964 ، ص14 .

(18) ابن خلدون : **العبرو ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1421هـ/200م ، ج4 ، ص237 .

(19) المالكي : **رياض النفوس (في طبقات علماء القيروان والأندلس و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم)**، تحقيق : بشير البكوش ، مراجعة : محمد العروسي المطوي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1: 1403 هـ / 1983 م – ط2 : 1414 هـ / 1994 م ، ج1 ، ص 39 .

(20) ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله : **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس** . دار الطباعة المدرسية بمدينة اوبسالة، 1843 م ، ص 76 .

(21) حسن أحمد محمود : **قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)**، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، د.ت ، ص61 .

(22) ابن عذارى المراكشي : **البيان المغرب في أخبار المغرب** . تصحيح : رينارتدوزي ، مطبعة بريل بمدينة ليدن المحروسة ، 1838 ، ص ص 27 ، 28 .

(23) عصمت عبد اللطيف دندش : **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430. 515هـ – 1038. 1121 م)** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت– لبنان ، 1408هـ / 1988م ، ط1 ، ص38 .

(24) الناني ولد الحسين **صحراء الملثمين و علاقاتها بشمال و غرب إفريقيا من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م** . تقديم : محمد حجي ، 1421هـ/2000م ، ص207 .

(25) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ص 93 ، 94 ، ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ص 38 .

(26) الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص209 .

(27) المرجع نفسه ، ص209 .

(28) وعند ابن أبي زرع تيولوثان بن تيكلان ، الأنيس المطرب : المصدر السابق ، ص76 .

(29) ابن الخطيب : **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام و ما يتعلق بذلك من الكلام** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ج2 ، ص384 .

(30) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص ص 243 ،244 .

(31) المصدر نفسه ، ص244 .

(32) المصدر نفسه ، ص245 .

(33) دندش عصمت : المرجع السابق ، ص ص 111 ، 112 .

(34) الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص307 .

(35) عصمت دندش : المرجع السابق ، ص 112 .

(36) مجموعة سوداء انضمت في وقت غير معروف إلى شعب مالي الطي كان تحت سيطرة إمبراطورية غانة و اندمجوا معه ، لكنهم بقوا محتفظين بهويتهم ، و قد كان الوانقارة في بداية أمرهم عبيدا لملوك غانة ، نور الدين شعباني : **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي** ، دار الجزائر ، االجزائر ، 2015 ، ص ص 22 ، 23 .

(37) عصمت دندش : المرجع السابق ، ص112 .

(38) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص87 .

(39) عصمت دندش : المرجع السابق ، ص ص 114 ، 115 .

(40) الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص309 .

(41) Raymond Mauny : **Tableau Géographique de l'Ouest africain au Moyen Age** . Ifan , Dakar , 1961 , p 525.

(42) الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص310 .

(43) المحضرة الصحراوية : يعرفها الخليل النحوي بأنها جامعة شعبية ، بدوية متنقلة ، تلقينية ، فردية التعليم ، طوعية الممارسة. الخليل النحوي : **بلاد شنقيط المنارة و الرباط** . المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس، 1987، ص 53 .

(44) الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 266 .

(45) المرجع نفسه ، ص266 .

(46) (أحمد بن أمين الفراء) التندغي ، عالم في فنون شتى منها النحو و الفقه ،كانت له منزلة كبيرة عند رؤساء السودان (ت: 1323هـ) ، أحمد بن الأمين الشنقيطي : المصدر السابق ، ص 344 .

(47) أحمد بن الأمين الشنقيطي : المصدر السابق ، ص344 .

(48) ولد بن احميدة عبد الله : **الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط (مبحث في النشأة والأصول)** . تقديم: ولد حبيب الله أحمد ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،1377 هـ/ 2009م ص 54 .

(49) المختار بن حامد :" **الحياة الثقافية** "، المرجع السابق ، ص94 .

(50) الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص123 .

(51) المرجع نفسه ، ص 266 .
(52) المرجع نفسه ، ص 123 .
(53) المرجع نفسه ، ص267 .
(54) المرجع نفسه ، ص267 .
(55) المرجع نفسه ، ص 266.
(56) Maty (P.) : **Etudes sur l'Islam Maure (Les Brakna)** . Edition Ernest Leroux , Paris , 1921 , p 56 .
(57) Le Chatelier (A.) : **L'Islam dans l'Afrique occidentale** , Steinheil , Editeur, 1899, Paris , p 326.
(58) النحوي: المرجع السابق، ص267 .
(59) Marty(P.) :**Etudes sur l'Islam maure…**op.cit , p 162
(60) Ibid , p 168 .
(61) النحوي: المرجع السابق، ص267 .
(62) المرجع نفسه ، ص266 .
(63) المرجع نفسه ، ص268 .